

معارك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

لما تفاقم اذى قريش للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه امره الله تعالى بقتال المشركين، وهو ما يعبر عنه بالجهاد او القتال في سبيل الله، وذلك للدفاع عن النفس والعرض والمال، وتامين الدعوة والدفاع عنها امام من يقف في سبيلها، حتى لا يخشى من يريد الدخول في الاسلام الفتنة عن دينه، كما حدث لعمار بن ياسر وبلال وغيرهما من المستضعفين من المسلمين.

معركة بدر الكبرى

تجمعت لدى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معلومات تؤكد أن قافلة كبرى لقريش شارك فيها كل أهل مكة بأموالهم، ويقودها أبو سفيان بن حرب، في أربعين رجلاً قادمة من الشام.

فخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في 313 رجلاً، كان منهم 82 من المهاجرين، و170 من الخزرج، و61 من الأوس، في يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان، فلما علم أبو سفيان بذلك أرسل أحد رجاله إلى مكة يستغيث بهم لنصرته، مما دعا أهلها إلى الاستعداد والتجهز للخروج بقيادة رؤسائهم وعظمائهم.

وحاول أبو سفيان الابتعاد عن بدر عند رجوعه من الشام، واتخذ جهة ساحل البحر الأحمر، لغرض الإفلات من المسلمين، ولكن "أبا جهل" أصرّ على مواصلة التقدم باتجاه بدر صباح يوم 17 من شهر رمضان، فاستطلعوا أخبار المسلمين، فعرفوا عددهم وعدتهم، وكان عدد المشركين بين تسعمائة والـ ألف رجلاً.

وكان التقليد المتبع عند العرب في الحروب، أن يبدأ القتال بالمبارزات الفردية، ثم تقع بعدها الحملات الجماعية، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً بالمبارزة. فبارز حمزة شيبه، وبارز عبيدة عتبة، وعليّ بارز الوليد، ثم اتجه حمزة وعليّ بعد الفراغ

من قتل خصميها إلى عتبة وقتلاه، وبعد هذه المبارزة، بدأ الهجوم العام فنصر الله المسلمين، وقتل سبعون من رجالات قريش وساداتهم، وأسر منهم سبعون، أما المسلمون فقد استشهد منهم اربعة عشر رجلاً.

كان لهذه الغزوة أثر كبير في تاريخ الاسلام، فقد كانت اول اصطدام جدي بين المسلمين وقريش، انتصر فيه المسلمون على الكفار، حتى بلغ اعتزاز المسلمين بانتصارهم ان سموها غزوة الفرقان، لان الله سبحانه وتعالى فرق بها بين الحق والباطل، واعز الاسلام واذل الكفر بقتل صناديد قريش واسر كبرائهم، مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم، كما سموا كل من شهدها من المسلمين بدرية، وكانوا يعتزون بهذه التسمية ويفخرون بها.

نتائج معركة بدر وآثارها:

أعلن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قراراً تاريخياً بعد المعركة خاصاً بأسلوب المعاملة مع الأسرى، فمن علم منهم عشرة من الصبيان الكتابة والقراءة، كان ذلك فداؤه، او أن يدفع فدية قدرها ٤٠٠٠ درهم إلى ألف، ومن كان فقيراً لا مال له، أفرج عنه دون فداء، وكان لهذا القرار الاثر الكبير بايجاد اعداد كبيرة من اولاد المسلمين يجيدون القراءة والكتابة.

كما أنه كان لانتصار المسلمين أثر كبير على المراكز السياسية المتناثرة في شبه الجزيرة العربية، فإنه هدّد مراكز أخرى في المدينة وخارجها، كاليهود الذين أبدوا تخوّفهم من تطور قوّة المسلمين، وخاصة يهود بني قينقاع، الذين بدأوا بتدبير المؤامرات ضدّ المسلمين، بالرغم من وجود معاهدة التعايش السلمي التي عقدها معهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد اضطرّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى استخدام السّلاح والقوّة ضدهم، عندما اعتدى يهوديّ على امرأة عربية في السوق، فقتله رجلٌ مسلمٌ، فاجتمع عليه عددٌ من اليهود فقتلوه، فسارعوا إلى حصونهم وقلاعهم خوفاً من هجوم المسلمين، فحاصرهم النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)

خمس عشرة ليلة، مما اضطرهم للنزول عند حكم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الجلاء عن المدينة.

واضطرت قريش في هذه السنة إلى أن تغيّر طريقها التجاري إلى الشام، خوفاً من تعرض المسلمين لهم، فاتفقت على أن تتخذ طريق العراق.

غزوة أحد

وقعت هذه الغزوة في السابع من شهر شوال في السنة الثالثة للهجرة، فقد قرر كفّار قريش إعلان الحرب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأعدت ٤ آلاف مقاتل، من قريش وعرب كنانة وتهامة، إضافةً إلى النساء لاثارة حماستهم، كما اشترك في الجيش عدد من العبيد والرقيق طمعاً في العتق الذي وعدوا به متى ما نصرروا أسيادهم، مثل وحشي الحبشي، ولم يحضر العباس بن عبد المطلب عم الرسول يوم أحد، وتقول بعض الروايات انه ارسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سرا من يعلمه بخروج قريش اليه.

ولما سمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقدوم قريش استشار الصحابة فيما يصنع، فتم الاتفاق على ملاقة العدو خارج المدينة، بعد أن أيّد الرأي أكابر أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من المهاجرين والأنصار، فأيد النبي رأي الأكثرية بالخروج للحرب.

وكان جيش الكفّار قد وصل أطراف المدينة، حتى استقرّ قرب جبل أحد، يوم الخميس، الخامس من شهر شوال، فاستعدّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن لبس لامته والدرع وتقلّد السيف واعتمّ، فخرج من بيته، ممّا أثار المسلمين وهزّهم بشدّة، حتّى تصوّر بعضهم أنّهم قد أجبروه (صلى الله عليه وآله وسلم) على الخروج، فطلبوا منه المعذرة، وإجراء أيّ فعل يقصده، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل». ثمّ صلّى الناس الجمعة، وخرج قاصداً "أحد".

نزل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على سفح جبل احد، واحتفى بالجبل وجعل الرماة على الجبل واوصاهم بألا يتركوا مكانهم سواء أكانت الغلبة للمسلمين ام عليهم، وبدأت المعركة بالمبارزة وكان على رأس جيش المشركين ابو سفيان بن حرب وعلى الخيل خالد بن الوليد، فكان النصر في جانب المسلمين في بادئ الامر، إلا أنّ المسلمين انهزموا بعد انتصارهم في بداية المعركة، نتيجة تجاهل هؤلاء الرماة لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حينما نزلوا من موقعتهم، واخذوا يجمعون ما تركه العدو وراءهم من الغنيمة والاسلاب.

غزوة الاحزاب

ضنت قريش بعد معركة أحد انها هزمت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واخذت تعد العدة لغزوة اخرى تقضي بها على ما بقى من قوة، كما قامت بعض القبائل العربية الاخرى التي استخفت بقوة المسلمين، فاعتدت عليهم لتتقرب بذلك الى قريش زعيمة الوثنية، حتى بلغ الاستخفاف بالمسلمين والاستهانة بشانهم ان فكر بنو النضير من يهود المدينة في قتل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مما اضطر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اجلاء اليهود عن المدينة.

بعد ان اجلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يهود بني النضير عن المدينة قرر زعماءهم اجراء اعمال عدائية ضد المسلمين وذلك بالتآمر عليهم، فقدموا مكة ليحرضوا قريشا على حرب المسلمين واستطاعوا ان يشكلوا اتحاد بين العرب واليهود و بعض القبائل العربية كغطفان وبنو سليم وفزارة وغيرها، ولذا سميت بمعركة الاحزاب، او معركة الخندق لما قام به المسلمون من حفر خندق حول المدينة للدفاع عنها.

قام العدو بحصار المدينة شهرا وبلغ عدد جيش المشركين عشرة آلاف فرد، اما عدد المسلمين فلم يتجاوز ٣ آلاف نزلوا في سفح جبل سلع في موضع مرتفع ومشرف على الخندق يمكن منه مراقبة تحركات العدو .

لما كان موسم الشتاء والطعام قليل وطالت فترة الحصار شهر فان ذلك دفع المشركين الى الاتصال بيهود بني قريظة الذين كانوا يعيشون داخل المدينة لمساندتهم بالرغم من انهم كانوا على ميثاق عقده مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الا ان (حيي بن اخطب اليهودي) تمكن من اقناعهم بنقض ذلك العقد، وتأكد النبي (ص) من مؤامرة بني قريظة ونقضهم للعهد، وكانت خطتهم التأميرية تقضى بان يقوم بنو قريظة بالإغارة على اهل المدينة من الداخل، الا ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسل ٥٠٠ من رجاله بقيادة زيد بن حارثة لحراسة المدينة من الاعداء.

اما في ميدان الحرب فقد تمكن خمسة من المشركين عبور الخندق وعلى رأسهم عمرو بن ود العامري فطلبوا من المسلمين المبارزة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيكم يبرز الى عمرو أضمن له الجنة؟) فقام الامام علي (ع) قائلاً ((انا له يا رسول الله))، برز الامام علي (ع) واستطاع التخلص من عمرو والقضاء عليه، فألقى في نفوس العدو الرعب فهربوا الى معسكرهم تاركين الخندق، وادت الى هزيمة المشركين وتفرقهم.

عوامل تفرق الاحزاب

- ١- اختلاف قبائل غطفان وفزارة مع قريش وتخاذلهم في الهجوم.
- ٢- مصرع فارسهم عمرو بن عبدود الذي علقوا عليه الآمال في الانتصار.
- ٣- حدوث الخلاف بين اليهود والمشركين وعدم الثقة بينهم مما ادى الى تفرقهم.
- ٤- عامل إلهي حين بعث الله تعالى فجأة العاصفة والريح واشتد البرد، فقلعت خيامهم وأطفأت اضاءهم فصاح بهم ابو سفيان ارتحلوا فإني مرتحل.

وبالتالي انتهت هذه الواقعة في ٢٤ من شهر ذي القعدة، وكانت امتحانا دقيقا للنفوس والقلوب، كما كشفت ان وعود الله تعالى صادقة ومحقة.